[٤]

كيف وجد سعيد نفسه وسط حلقة عكاظية ــ شكسبيرية

- نزلنا أمام باب السجن الحديدي فهبط العسكر من عربة الكلاب وهرع ثلاثة منهم نحوي فأحاطوا بي كالاثافي الثلاث . واما الرجل الكبير فتصدر الموكب امام الباب . فما أن طرقه طرقة واحدة حتى نبح كلب من الداخل فانفتح .

فاذا بمدير السجن ، بلحمه وشحمه ، وهو ذو لحم وشحم كثير ، يهرع لاستقبالنا وأمامه كلبه البولدوغ المدلل . هذا يهش وذاك يكش . فلاعبا الكلب تارة وتطبطبا على الظهر اخرى حتى صعدا على درج وأنا واقف في الساحة الداخلية تحيط بي الاثافي .

ثم استدعاني أحدهم فصعد بي على الدرج الى دهليز ، فدهليز اخر ، فاخر ، حتى ادخلني مكتب المدير فاذا بهما يرتشفان القهوة بسرور مسموع .

فهش المدير في وجهي وقال : بوصاية صديقي العزيز ، الرجل الكبير ، ساعاملك معاملة خاصة . ولقد علمت منه ان ماضيك ابيض ناصع البياض لا تشوبه سوى شائبة سوداء واحدة هي ذلك العلم الابيض الناصع البياض ، وانك ولد مثقف وتروي عن شكسبير .

فانبسطت اساريري وانبسطت على مقعد .

فعاجلني بالقهوة وبالحديث عن شكسبير . فصار يتلو من خطبة انطونيوس امام جثمان قيصر فأتلو عليه ما غاب عن ذاكرته منها وهو يصيح : برافو ، برافو ! ثم قام عن مقعده واخذ يتصنع دور عطيل وهو يقبل ديدمونة القيلة القاتلة . فاستلقيت على الارض ديدمونة . فقال : قم ، لم يحن اوان ذلك بعد ! فقمت وقامت معي الهواجس .

قال : ولكننا امام السجناء سنعاملك مثلما نعاملهم ، وانت فاهم .

قلت : فاهم يا سيدي ! ونظرت الى الرجل الكبير مطمئنا فرد علي بأحسن منها .

فضغط المدير على زر فأقبل أحد الحراس . فصافحت المدير ثم صافحت الرجل الكبير الذي اوصيته بزميلي يعقوب خيرا . وظلات أشكر هذا والهج بحمد ذاك حتى دفعني الحارس خارج المكتب . فلما اوغلنا في الدهليز الثاني قلت في نفسي : أصبح هذا الحارس صديقي واخي فقد عبرنا سوية في دهليزين في سجن واحد ، كالمشاركة في العيش والملح ، فقلت له : مدير عالي الثقافة !

قال : فعم كنتما تتحدثان ؟

قلت : عن شكسبير وعطيل وديدمونة .

قال : وتعرفهم ؟

قلت : أروي عن الاول واستلقي كالثالثة .

قال : يا حبذا .

حتى ادخلني في غرفة معتمة خلو من النوافذ وجرداء من أي اثاث . فلما اضاء قنديل كهرباء في وسط السقف ، أوهي من نار ججا ، رأيتني واقفا في وسط حلقة من السجانين العراض الطوال ، كل سجان بعينين ناعستين اثنتين وبساعدين مشمرتين